المكتبة الحديثة للأطفال

البنت الوحيدة

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثامنة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين . سيدِنا محمد وعلى آلِه وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصًا منِّى على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومَداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخير منه — مع كثرةِ قصصِه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخية .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يرَغِّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ،

وجمالُ أسلوبها، وحرصُها على المثُلِ العليا فى النواحى الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية ، فيمضىَ إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدةِ قراءتِها.

وَقدْ راعيتُ فيها سهولةِ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُبَ ، ووضَّحتُ بعضَ القصص بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق.

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهات. والمدرسين والمدرسات ، سيجدون فى هذه المجموعة المنتقاة خيرَما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل ،وتنمِّى خيالَه ، وتسمو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربِّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لذةً وسروراً يشعُر بهما الكبارُ أنفسهم حينَ يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديدِ فى هذا العهد السَّعيد، فى جمهورية مصر العربية ، والشرق العربىّ .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمال ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

الْقِصة الْأُولى

البنتُ الوَحيدةُ

كانَ فى قديمِ الزَّمانِ ملكٌ منَ الْمُلوكِ يَعيشُ معَ زَوْجته الْمَلكَةِ فى قَصْرٍ جَميلٍ ، وَكانَ الْملِكُ والْملكة فى راحةٍ وسَعادةٍ ، وكُلٌّ منهما يُحِبُّ الآخَرَ حُبًّا كَثيرًا ، ولٰكنْ لَمْ يُرْزَقا طفْلًا صَغيرًا يَفرَحانِ بِه ، فَكانَا يَدْعُوانِ اللهَ لَيْلاً ونهارًا أَنْ يَرْزُقَهُمَا مَوْلودًا سَعيدًا يَسْعدانِ به ، ويُربِّيانِه أَحْسنَ تَرْبيةٍ .

وبعدَ سنواتٍ كثيرةٍ اسْتجابَ اللهُ دُعاءهما ،ووُلِدَتْ لهُما أَميرةٌ صَغيرةٌ جَميلةٌ ، فَفرِحَ الْملكُ والْملِكَةُ بها كَثيرًا ، وأَمرَ الملكُ بتوزيعِ كثير منَ الصَّدَقاتِ على

الفُقراءِ والْمساكينِ ، وعَمَلِ فَرَحٍ كَبيرٍ لَها فى اليوْمِ السَّابعِ منْ ولادتِها ، يَدْعُو فيهِ الأُمَراءَ والوُزراءَ ، والأَقارِبَ والأَصدقاءَ . ولم يكْتفِ بدعْوَةِ أَهلهِ وأَصحابه ، بَلْ دعا الْحُوريَّاتِ ؛ لتُهْدِى كلُّ حُوريَّةٍ إلى الأَميرةِ ، أَثمنَ الهدايا وأَجملها ، وتدعو لها دَعْوةً صالحةً .

دَعا المَلكُ اثْنتىْ عشرَةَ حُوريَّةً ، ولَمْ يَسْتطعْ أَنْ يدعُوَ الحوريَّةَ الثالثةَ عَشرَةَ ؛ لأَنَّهُ لمْ يكنْ عِندهُ إِلَّا اثْنا عَشَرَ طَبقاً منَ الذَّهبِ ؛ لتأْكُلَ فيها الحوريَّاتُ ، فَغضِبَتِ الحوريةُ التى تُرِكتْ منْ غَيْرِ دَعْوةٍ غَضَباً شَديدًا ، وَهىَ الْحُورِيَّة الثالثةَ عَشرةَ .

وحينما انتهَى الاحْتفالُ وَضَعَ الأَقاربُ والأَصدقاءُ هَداياهُمْ لِلأَميرةِ الصَّغيرةِ عَلَى مائدةٍ . وكانَ منَ الهَدايا مَلاعِقُ منَ الْفِضةِ وخَواتمُ منَ الذهبِ ، وعُقودٌ منَ

الأميرة الصغيرة أو البنت الوحيدة وحولها الحوريات الطيبات

الْماسِ ، وملابسُ منَ الحَريرِ .

وقَفتِ الْحُوريَّاتُ الاِثْنتا عَشرةَ فى دائرةٍ حَوْلَ سَريرِ الأَميرةِ الصَّغيرةِ ؛ لِتَدْعُوَ لها كلُّ وَاحدةٍ منْهُنَّ ، وَتَتمنَّى لَها شيئاً جميلاً . فتمنَّتِ الحورية الأُولى : أَنْ تَكونَ أَميرةً عَظيمةً .

وتمنَّتِ الثَّانيةُ : أَنْ تكونَ غَنيَّةً .

وتمنَّتِ الثَّالثةُ : أَنْ تكونَ جَميلةً جدًّا .

وتمنَّتِ الرَّابعةُ : أَنْ تكون كريمةً . وأَخذَتْ كلُّ حوريَّةٍ تَتمنّى لَها شيْئاً جَميلاً .

وقبلَ الانتهاءِ منَ الدَّعَواتِ الصَّالحاتِ فُتِحَ بابُ القصرِ فَجْأَةً ، ودخلتِ الحوريَّةُ الثَّالثة عشْرَةَ منْ غيْرِ دَعوةٍ ، وقدْ ظهرتْ فى شَكلِ امْرَأَةٍ عجوزٍ تَلبَسُ مَلابسَ حَمْراءَ طويلةً ، وتَقدمتْ نحوَ سَريرِ الأَميرةِ

الحورية الشريرة وقد ظهرت في شكل امرأة عجوز

الصَّغيرةِ ، وتمنَّتْ بِصَوْتٍ مُزْعِجٍ وقالتْ : فى اليَوْمِ الَّذِى تبْلُغُ فيهِ الأَميرةُ منَ العُمْرِ عَشْرَ سَنواتٍ سَتخزُ إِصْبعها بالإِبْرَةِ ، وَتموتُ فى الحالِ .

فانْزَعجَ جَميعُ الحاضرينَ لذلكَ الدُّعاءِ الغَريبِ الَّذِى دَعَتْهُ تلكَ الحوريَّةُ الشِّريرةُ . ولٰكنَّ الحوريَّةَ الثَّانيةَ عشْرةَ الَّتى لم يَأْتِ دَوْرُها لِلدُّعاءِ اقتربَتْ منَ الأَميرةِ الصَّغيرةِ ، وقالتْ بِصَوْتٍ رَقيقٍ : « إِنَّ الأَميرةَ لَنْ تَموتَ ، وهذا رَجائى لها ، ولٰكنَّها سَتنامُ مِائَةَ سَنةٍ نَوْماً عَميقاً ، وَسَينامُ مَعها كلُّ مَنْ بالقصْرِ ، ثمَّ تَسْتيقِظُ الأَميرةُ بَعْدَ ذٰلك ، ويَسْتيْقِظُ مَنْ نامَ مَعها ، وتَعودُ الْحَياةُ إلى الجَميعِ » .

كَبرَتِ الأَميرةُ الصَّغيرةُ ، وتَحقَّق دُعاءُ الحوريَّاتِ . فَكانَتِ الأَميرةُ عَظيمةً ، غنِيَّةً ، فائِقةً فى الجَمال . كريمة . . .

تقدمت الحورية الشريرة لتدعو على البنت الوحيدة

ثمَّ أَمرَ المِلكُ بإبادةِ كلِّ الإبَرِ الَّتى فى الْمَمْلكةِ فأُبيدَتْ . وبمُرُورِ الزَّمَنِ نسِىَ الجَميعُ دَعوةَ الحوريَّةِ الشِّرِّيرةِ ، ولكنْ فى الْيوم الذى بَلغتْ فيهِ الأَميرةُ منَ العُمْرِ عشْرَ سَنواتٍ أَخذتْ تمشى فى حديقةِ القصْرِ . حَتى وصَلَتْ إلى حصْنٍ مُرْتفعٍ لم ترَهُ منْقبْلُ ، فصعِدَت فى السُّلَّمِ ، ودَخلتْ حُجْرةً صغيرةً منْ بابٍ مُغلقٍ ، وفيهِ مِفْتاحٌ ، فأَدارَتِ الْمِفتاحَ ، ففُتِحَ الْبابُ ، ثمَّ نَظَرَتْ فوَجدَتْ بالحُجْرةِ امْرَأَةً عَجوزًا جالِسَةً تَغْزِلُ كَتَّاناً . فَحيَّتْها الأَميرةُ ، وقالتْ لَها : صَباحَ الْخَيْرِ ! ماذا تَفعلين أَيَّتُها السَّيِّدَةُ ؟

فأَجابتِ الْعَجوزُ : إنِّى أَغْزِلُ كَتَّاناً . فَطلبَت الأَميرَةُ منْها أَنْ تَسْمحَ لَها بإدارة الْمُغْزَلِ . وقالتْ لَها : « إنَّ هٰذا يَوْمُ عيدِ ميلادِى كَما تعْرِفينَ ، فَيجِبُ عَليكِ

البنت الوحيدة تضع الأزهار حول رقبة كلبها

أَلَّا تَرْفُضى لى طَلباً . فَهَل يُمكِنُنى أَنْ أُديرَ هٰذا الْمُغْزَلَ » ؟

سَمحتْ لَها الْعَجوزُ ، وأَجابَتْ رغْبتَها . وَتناوَلَتِ الأَميرَةُ الْمُغْزَلَ منْها ، وأَخذَتْ تَغزِلُ . وبعدَ قليلٍ جُرِحَ إِصْبَع الأَميرةِ بالإِبْرَة ، وتحقَّقَتْ رَغْبةُ الحوريَّةِ الشِّريرة .

فَوَقعتِ الأَميرَةُ عَلَى الأَرْضِ ، وغمَّضتْ عَيْنَيْها ، ونامَتْ نَوْماً عَميقاً ، ونامَ المِلِكُ والمِلِكَةُ فى حُجْرة العَرْشِ ، ونامَ الْخَدَمُ والوَصيفاتُ ، ونامتِ الْخُيولُ فى الإِصْطبْلِ ، ونامَتِ الطُّيور ، وانْطفَأَتِ النَّار ، وهَدَأَتِ الرِّياحُ ، وسَكنَتِ الأَوْراقُ على الأَشْجارِ .

نامَ الجَميعُ سنَواتٍ ثمَّ سنَواتٍ فى ذلك القَصرِ ، حتّى أَصْبَحَ الأَطْفالُ فى المَمْلكَةِ شُيوخاً كِبارَ السِّنِّ .ولَم

البنت الوحيدة تنظر إلى العجوز وهي تغزل بمغزلها

يَتذَكَّرْ أَحَدٌ شيْئاً عَنِ الأَميرَةِ النَّائمةِ المَسْحورةِ سِوَى الأَجْدَادِ مِنَ الشُّيوخِ الكِبارِ السِّن .

وفى صَباح يَوْمٍ منَ الأَيَّامِ قَدِمَ أَميرٌ منَ الأُمراءِ ، فَأَخْبَره جَدُّه الْهَرِمُ الكَبيرُ السنِّ قِصَّةَ الأَميرَةِ النَّائمةِ المَسْحورَة ، والْقصْرِ المَسْحورِ ، الذى نامَ كُلُّ مَنْ فيهِ حتَّى الحيوانُ والطَّيْرُ .

فأَخذَ هٰذا الأَميرُ يَبحثُ عنْ ذٰلكَ القَصْر . وقَدْ حدَثَ أَنَّ اليَوْمَ الذى بَدَأَ فيهِ الأَميرُ الْبَحْثَ كانَ آخِرَ يَوْمٍ من مائةِ السَّنةِ الَّتِى حُكِمَ فيها على جَميعِ سُكَّانِ القَصْرِ بالنَّوْمِ الْعَميقِ .

أَخذَ الأَميرُ يَبْحثُ عنْ ذٰلكَ القَصْرِ بحْثاً دَقيقاً حتى وَجدَهُ . فلمَّا وَصَل إليْهِ انْفَتحَ الْبابُ على مِصْراعَيْهِ . فوَجد كلَّ شَىْءٍ بهِ ساكِناً . ووَجدَ الكِلابَ

نام الطباخ بعد أن مسته الحورية بعصاها السحرية

الأمير يفتح بسيفه طريقاً فى الحديقة بين الأعشاب الكثيفة

الحارسةَ لِلقَصْرِ قدْ نامَتْ ، وغَطَّتْ رُءُوسَها النّباتاتُ والأَعْشابُ ، ورأَى الحَمامَ نائماً فى أَبْرَاجِهِ .

دَخلَ الأَميرُ الْقَصْرَ بِهُدُوءٍ ، وَمَشَى حتى وَصَلَ إلى الْمَطْبخِ ، فَرَأَى الطبَّاخَ نائِماً وفى يَدِه لَحْمٌ يُرِيدُ أَنْ يَشْوِيَه ، وَاسْتمرَّ ينْتَقِلُ فى جِهاتِ القَصْرِ منْ جِهةٍ إلى أُخْرى ، حتى وَصَلَ إلى الْحِصْنِ الّذِى كانَتْ بهِ الأَميرةُ غارِقةً فى نَوْمِها ، فوَجدَها على أَريكةٍ (كَنَبَة) وقدْ طالَ شعْرُها حتى غَطَّى جسْمَها ، كأَنَّه مِعْطفٌ أَصْفَرُ ذهَبِىُّ اللَّوْنِ .

نادى الأَميرُ الأَميرةَ النَّائمَةَ المَسْحورةَ ، وَهِىَ الْبِنْتُ الْوَاحِدَةُ لِأَبَوَيْها ، ففتحتْ عَيْنَيْها ، وابتَسَمتْ فأَخذَها الأَميرُ منْ يَدِها وذهَبا معاً إلى حُجْرةِ الْعَرْش ، فوَجد المَلكَ والمَلكَةَ قدِ اسْتَيْقظا منْ نَوْمِهما ،

البنت الوحيدة وهى نائمة على الأريكة

وأَخَذا يَمْسَحانِ عُيونَهُما وعادَتِ الحَياةُ إِلى كلِّ مَنْ كانَ مِنَ السُّكانِ بالقَصْرِ ، وأَخذَتِ الكِلابُ تَنْبَحُ ، والطُّيورُ تَطيرُ ، وتُغَرِّدُ هُنا وهُناكَ . واتَّقَدَتِ النَّارُ كما كانَتْ .

وَتزوَّجَ الأَميرُ الأَميرةَ ، وَأُقيمَ لَهُما احتِفالٌ جَميل ، لَمْ يَحدُثْ مُنذُ مائَةِ سَنَةٍ . وَعاشَ الزَّوْجانِ طولَ حَياتِهِما عِيشةً سَعيدةً هانِئَةً .

القصَّةُ الثَّانية

نَيِّرَةُ وَالْعُصفورُ

كَانَتْ نَيِّرَةُ راجِعَةً من الْمَدْرَسَةِ فى يَوْمٍ مِنَ الْأَيام ـ فَرَأَتْ جَمَاعَةً من الأَطْفَالِ يُعَذِّبُونَ عُصْفُورًا صَغِيرًا ، فى حَدِيقَةٍ عامَّةٍ تَمُرُّ بها كُلَّ يَومٍ فى أَثناءِ رجوعِها مِنَ الْمَدرَسَة ، فَتَأَلَّمَتْ أَلَماً شَديدًا لِهٰذَا الْعُصفورِ الْمِسْكِين ، وعَابَتْ عَلى هٰؤُلاءِ الصِّبْيَانِ قَسْوَتَهُمْ ، وطَلَبَتْ مِنْهُمْ أَن يعْطُوهَا الْعُصفورَ ، فَلَمْ يُجِيبُوهَا إلى طَلَبِهَا ، وٱسْتَهْزَءُوا بِهَا ، وسَخِرُوا مِنْهَا ، وٱسْتَمَرُّوا فى تَعْذِيب الطائرِ الضَّعيفِ فَاشْتَدَّ غَضَبُهَا ، وٱجْتَهَدَتْ حَتَّى أَخَذَتِ الطَّائرَ مِنْهُمْ .

أَخَذَتْ نَيِّرَةُ الْعُصْفُورَ من الصِّبيانِ ، وَذَهَبَتْ بِهِ إلى مَنْزِلِها ، وعَطَفَتْ عَلَيْهِ عَطفاً شَدِيدًا ، وقَدَّمَتْ لَهُ

أخذت نيرة العصفور من الأولاد وهم يعذبونه

طَعَاماً وَشَرَاباً ، فَأَكَلَ وشَرِبَ قَلِيلًا . ولكنَّ الطَّائِرَ الْمِسْكِينَ كان مُتعَباً جدًّا ممَّا أَصابهُ من الصِّبيانِ . فماتَ بعدَ قليلٍ .

حَزِنَتْ نَيِّرَةُ على العُصْفورِ ، وساءَها كَثيرًا ما حَدثَ له ، وذهبَتْ إلى أُمِّها ، وأَخبرَتْها بخبَرِه ، فقالتْ : « هلِ اعْتَنيْتِ يا نيِّرَةُ بالعُصْفورِ ، وقُمتِ بالواجبِ عَليْكِ نحوَهُ قبْلَ أَن يمُوتَ ؟ » .

فأَجابتْ نَيِّرَةُ : « نَعمْ يا والدَتى ! إنى قد أَدَّيْتُ الواجبَ عَلَيَّ ، وبذَلْتُ كُلّ ما فى وُسْعى من العَطفِ عَلَيهِ ؛ وتَقديم الطَّعام وَالشرابِ لهُ . ولكنَّه ماتَ بما حَدثَ له من هؤُلاءِ الصِّبيانِ القُسَاةِ الظالمينَ الذين لم يتعَوَّدوا الرأْفةَ بالطُّيورِ ، والشفقةَ عَليها » .

فقالتِ الأُمُّ : « هَل تستطيعينَ يا نَيِّرَةُ أَن تُحْضِرى أَحدَ هؤُلاءِ الصِّبيانِ ؟ » .

فأجابتْ : « نَعمْ أَسْتطيعُ ذٰلك » . وذهبَتْ وأَحضرَتْ واحدًا مِنهم ، فقالتْ لهُ أُمُّها : « هَل ترضَى يا بُنيَّ أَن تُعذَّبَ بغيْرِ ذَنبٍ ٱرتكَبْتَهُ ؟ » .

فأَجابَ : « لا ؛ لا أَحَدَ يَرْضَى أَن يُعَذَّبَ بِدُونِ ذَنْبٍ » .

فقَالَت : « وإِذا عُذِّبتَ بِدُونِ سبَبٍ فبماذا تحِسُّ ؟ » .

فَقَالَ : « أُحِسُّ بالأَلَمِ ، وأَعْتَقِدُ أَنِّى مَظْلومٌ » .

فَقَالَت : « وإِذا كُنْتَ تَعْرِفُ ذٰلك فَلِمَاذا تَقْسُو عَلَى طائرٍ ضَعِيفٍ لَمْ يَضُرك بِشيْءٍ . وَلا يَسْتطيعُ أَن يَشْكُوَ أَوْ يَتَظلَّمَ ؟ » .

حينئذ أَحَسَّ الصَّبيُّ بالْخِزْيِ . وقالَ — وهُوَ مُتألِّمٌ نَادِمٌ على ما حَدَثَ مِنْهُ : « لَقَدْ فهِمتُ الآنَ خَطئِى وخَطأَ زُمَلائِى ، وإِنّى أَعِدُكِ يا سَيِّدَتى وَعْدًا صادقاً أَنّى لَنْ أَقْسُوَ عَلَى طَائرٍ بَعْدَ الْيومِ ، وَلَنْ أُعَذِّبَ حَيَواناً مَرَّةً أُخْرى » .

القِصة الثالثة

الشَّجاعَةُ والنُّبْلُ

كانَ تلاميذُ السَّنةِ السَّادسةِ الابتدائيَّةِ جالِسين فى أَمْكنتهِم ، مُستعِدِّين لِلامْتحانِ فى الْحِسابِ ، وكان دُرْجُ نبيلٍ مُجاوِرًا لِدُرجِ أُسامَةَ ، وكان بَينَهُما مُنافَسَةٌ شَديدَةٌ ؛ يُصْغِى كلٌّ مِنهما إلى مُدرِّسِه ، ويَسْأَلُه عما صعُب عليْه بِلُطفٍ وأَدَب ، ويَسْهرُ ليْلَه ، ويَجتَهِدُ نهارَه ، ويَسْتمرُّ فى عملِه ؛ أَمَلًا فى أَنْ يُكتَبَ اسمُه فى سِجِلِّ الفائزين ، ورَغبةً فى نَيْلِ الجائزةِ التى سيُعطيها المدرِّسُ الفائزَ الأَوَّلَ فى امتحانِ الْحِسابِ .

وقدْ وُزِّعتِ الأَسْئلةُ ، وابْتدأَ التَّلاميذُ فى الإِجابةِ ، وقامَ نبيلٌ بالإِجابةِ عنِ الأَسْئلةِ فى ورَقةٍ ، ثمَّ ظهر

لهُ بعْدَ الإنتهاءِ مِنها أَنَّها غيرُ مُنظَّمة ، فأَعادَ كِتابتَها فى ورَقةٍ أُخْرى ؛ رَجاءَ أَن يَأْخُذَ الدَّرجةَ الكبْرى ، وأَنْ تكونَ إجابتُهُ مَثلًا عالياً لِزُملائِه فى النَّظافةِ والنِّظامِ .

ولِشِدَّةِ سُرُورِه بإجابتِهِ ، وَفرَحِه بدِقَّةِ عَمَلِه — نسِيَ الوَرقةَ الأُولَى على الدُّرْج ، وأَعْطَى الْمُراقبَ الوَرقةَ الأُخْرى . وخَرجَ مُنشَرِحَ الصدْر ، فَرِحاً مسروراً ، يتهلَّلُ وجهُهُ فَرَحاً ، ويَكادُ يَرْقُصُ طَرَباً ، وَلا عَجَبَ ؛ فتلكَ نتيجةُ الاجْتهادِ والعَمَل .

وفى ذلكَ الوقتِ رأَى أُسامةُ ورَقةَ مُنافِسِه نَبيلٍ على الدرْج ؛ فَمدَّ يَدَه ، وخَطِفَها سِرًّا وخِفيةً فى خَوْفٍ وحَذرٍ ، وأَخَذ يُوازِنُ بلَهفةٍ بينَ عملِه وعملِ نبيلٍ ، فوجَد أَنه مُخطِئٌ فى الإجابةِ عن سُؤَالَينِ . فنَقلهُما من ورقةِ نَبيل كلِمةً كلِمةً .

فَهلْ تُعِدُّ ذٰلكَ يا بُنَيَّ أَمانةً ؟ كلا ، إنّها لَسرِقةٌ وخَطأٌ عَظيمٌ ، وذنْبٌ كبيرٌ ؛ لأَنَّه لا فَرْقَ بينَ سَرِقةِ الأَجْوبةِ . وسرقةِ القَلمِ ، أَو الْمِبْراةِ ، أَو النُّقود .

ومِن الخِيانةِ أَن تأْخُذَ عمَلَ غيْرِك وتَنْسُبَهُ إلى نفسِك . ولَأَن تُقَدِّمَ ورقةَ إجابتِكَ بَيضاءَ لا كِتابةَ فيها ـ خَيْرٌ مِن أَنْ تَرتكبَ مِثلَ هذا الذَّنبِ ، فتشْتهر بينَ إخْوانِكَ بالْخِيانةِ والسَّرِقة .

لم يَكُن أُسامةُ ذٰلكَ الفتَى الذى تعوَّدَ الخِيانةَ والسَّرقةَ ؛ فقَدْ نَشَأَ فى بيئةٍ طَيِّبةٍ نَشْأَةً حسَنةً ، مُتحلِّياً بالفضائلِ ، بَعيدًا عن الرَّذائل . وقدْ خَلَا بنَفسِه بعدَ انتهائِه منَ الامتِحان ، وأَخَذ يُفكِّرُ فى فَعلتِه الَّتى فَعلها . ونفْسُه تَذُوبُ حُزْناً ، وأَحْشاؤُه تَتقطَّعُ أَلَماً وأَسَفاً ، يُوَبِّخُه ضمِيرُه ، ويَخزُهُ وَخْزَ

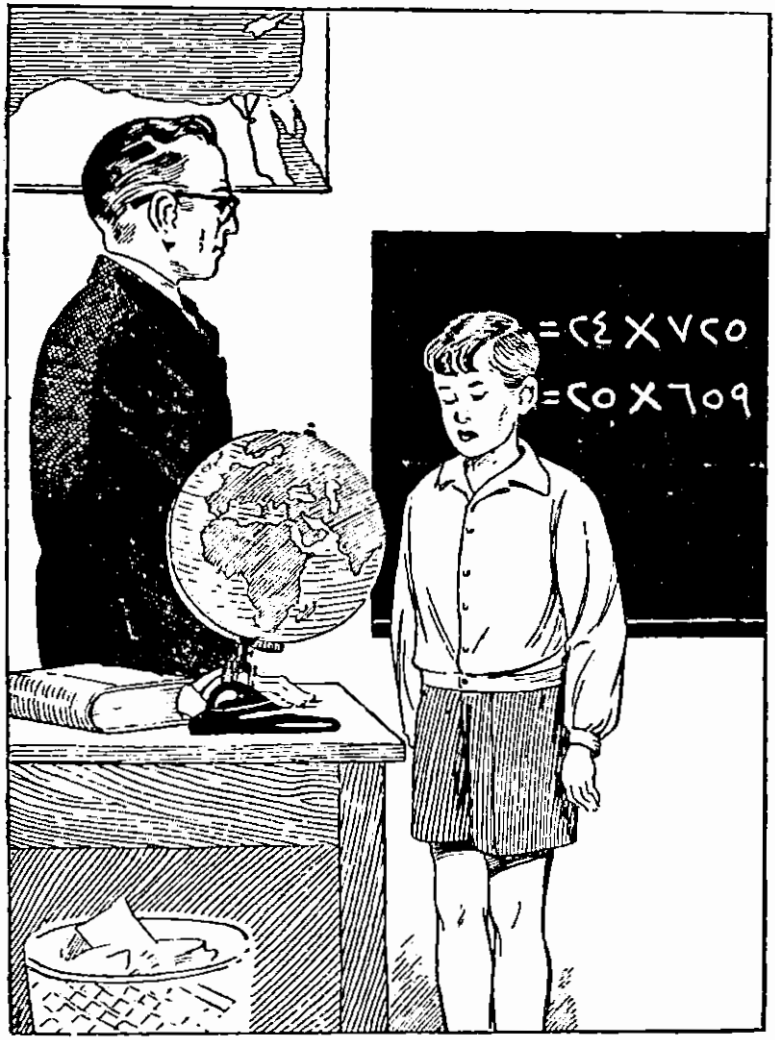

اعترف أسامة بخطئه ، وندم على ما فعل

الإبَرِ ، وكُلَّما مَرَّ بخَيَالِه أنه سرَقَ أَجْوِبةَ غيْرِه ، ونَسَبَها إلى نفْسِه ـ ذرَفَتْ عيْناه دُموعاً حارَّة ، وتأَوَّهَ آهاتٍ مِلْؤُها الْحُزنُ والنَّدَمُ . وكان إذا سَمِعَ التَّلاميذَ يَتحدَّثون عمَّن سينالُ جائزةَ الْحِسابِ ظهَرَ عليْهِ الخَجَلُ مِن الخطإِ الذى فعَله ، والخوْفُ منَ الله الذى لا تَخْفَى عليْهِ خافيَةٌ ، وفكَّرَ فى أَن يَختفىَ عَن عُيونِ إخْوانِه فى أَىِّ مكانٍ بَعيد .

جاءَ اليوْمُ الذى تُوَزَّعُ فيه الْجَوائزُ على الفائزينَ فى الامتحانِ . وجَلس التَّلاميذُ فى أَمْكنتهم ، يُصْغونَ إلى مُدرِّسِ الحسابِ وهُو يُعلنُ النتيجةَ قائلًا : « إنَّ أَجْوبةَ نبيل وأُسامة كلَّها صحيحة ، ولكنَّ ورقةَ أُسامةَ تَفْضُلُ ورقةَ نبيل فى النَّظافةِ والنِّظام وحُسنِ الترتيبِ ؛ ولذا استَحَقَّ أُسامةُ الجائزةَ الأُولى .

فصفَّقَ التَّلاميذ سُرورًا ، وتَقدَّموا إلى أُسامة يُهنِّئونهُ بالجائزة الأُولى ؛ ولكنَّ أُسامةَ قد احمرَّ وجهُه خَجلاً ، وامْتلأَتْ عيْناه بالدُّموع ، وانفَجَر يبكي بكاءً شَديدًا . فسكت الجميعُ ، ولم يَعلموا السبَب ، ووَقتئِذٍ لم يَقبلْ ذلك التِّلميذُ النبيلُ أَن يأْخُذَ جائزةً هيَ حقٌّ لزَمِيله ، فَتقدَّمَ إلى أُسْتاذِه بشجاعةٍ ، وقال له :

« سَيِّدى الأُستاذ ، إنَّ الاعترافَ بالذَّنبِ فضيلةٌ ، وإنَّ أَدبى وخُلُقى ، ثمّ تَربيتَكَ لِى وتأْديبَك وتهْذيبَك كلُّ هذا يَحملُنى على أَلَّا آخُذ جائزةً لا أَسْتحقُّها ، فهيَ ليْسَت لى ، ولكن المستحِقَّ لها نَبيلٌ ، فقد نقَلتُ جَوابيْنِ مِن أَجْوبتِه ، وإنِّى أَعْتذِر ؛ وأَرْجو العفْوَ عنِّى والمَغْفِرةَ ، فقدْ أَخْطأتُ فيما فَعلْتُ . ولَن أَفعلَ ذٰلكَ مرَّةً أُخْرَى .

فقامَ المدرِّسُ ، وقال لِأُسامةَ :

« إنَّ سُرورِى بِشَجاعتِك واعتِرافِكَ بِالحقِّ بِقدْرِ سرورِى بفَوْقِ زَميلِكَ نبيلٍ . وإنَّك بهٰذا الاعتِرافِ يا بُنَىَّ قدِ اتَّخذْتَ لكَ مَنزِلةً عظِيمةً عِنْدِى ، وإنِّى قدْ عفوْتُ عَنْك ، وأَرْجو أَلَّا تَعودَ إلى ذٰلك مرَّةً أُخْرَى » .

فامتَلَأَ قلْبُ أُسامة فَرَحاً وسروراً ، وشكَر أُسْتاذَه ، وسَمِعَ نصِيحَتَه ، وهَنَّأَ التَّلامِيذُ نبيلًا بِجائِزتِه .

القِصَة الرابعَة

الدَّجَاجَةُ النَّشيطَةُ

كانت دَجاجَةٌ نَشِيطَةٌ تَسِيرُ بِفِراخِها الصِّغار فى فِناءِ الدارِ ، مَعَ طُيورِ المنزِلِ الأُخرَى ، فوَجَدَتْ حَبًّا مِنَ القمحِ . فَسَأَلَتْ : « مَنْ يَزْرَعُ هٰذا القَمْحَ ؟ »

فَأَجَابَتِ الإِوَزَّةُ : « إنى لا أُريدُ أَنْ أَزْرَعَهُ »

وَقالتِ البَطَّةُ : « أَنا لا أَسْتَطِيعُ أَن أَزْرَعَهُ » .

فقالَتِ الدَّجَاجَةُ النَّشِيطةُ : « إذًا أَقوم أَنا بِزَرْعِهِ » . ثُمَّ قَلَبتِ التربةَ فى ناحِيةٍ من فِناءِ المنزِلِ . وَرَمَتْ فِيها الْحَبَّ . وأَروَتْهُ بِالماءِ ، فَظَهَرَ النَّباتُ . وَأَخَذَتْ تَتَعَهَّدُهُ حَتَّى كَبِرَ ، وَكَثُرَتِ السَّنابِلُ .

واصْفَرَّتْ . وَطابَ القَمْحُ ، فَحَصَدَتْهُ ، وَدَرَسَتْهُ ، وَذَرَّتْهُ ، ثُمَّ خَزَنَتْهُ .

ثُمَّ قالَتِ الدَّجاجةُ النَّشيطةُ لِلطُّيُورِ الَّتى مَعَها :

« مَنْ يَأْخُذُ هذا القَمْحَ إلى الطاحُونةِ لِيَطْحَنَهُ ؟ »

فَادَّعَتِ الإِوَزَّةُ أَنَّها لا تَقدِرُ عَلَى حَمْلِهِ وَطَحْنِه . وَامْتَنَعَتِ البَطَّةُ عنِ الذَّهابِ بِهِ إلى الطَّاحُونَةِ .

فقامتِ الدَّجاجةُ النَّشيطةُ ، وَأَخَذَتِ القمحَ ، وطَحَنَتْهُ فى الطاحونةِ ، وحمَلَتِ الدَّقيقَ ، وَذَهَبَتْ بِهِ إلى البَيتِ . ثُمَّ قالتْ : « مَنْ يَعجِنُ هذا الدَّقيقَ ثمَّ يَخبِزُ لَنا خُبزًا نَأْكلهُ ؟ »

فَأَجابتِ الإِوَزَّةُ : « أنا لا أَقْدِرُ أَنْ أَعْجِنَ ، وَلا يُمكِنُنى أَنْ أَخبزَ » . وَكَذلكَ أَجابَتِ البَطَّةُ .

فذَهَبتِ الدَّجَاجةُ ، وَعَجَنَتِ الْعَجِينَ ، وَأَعدَّتِ

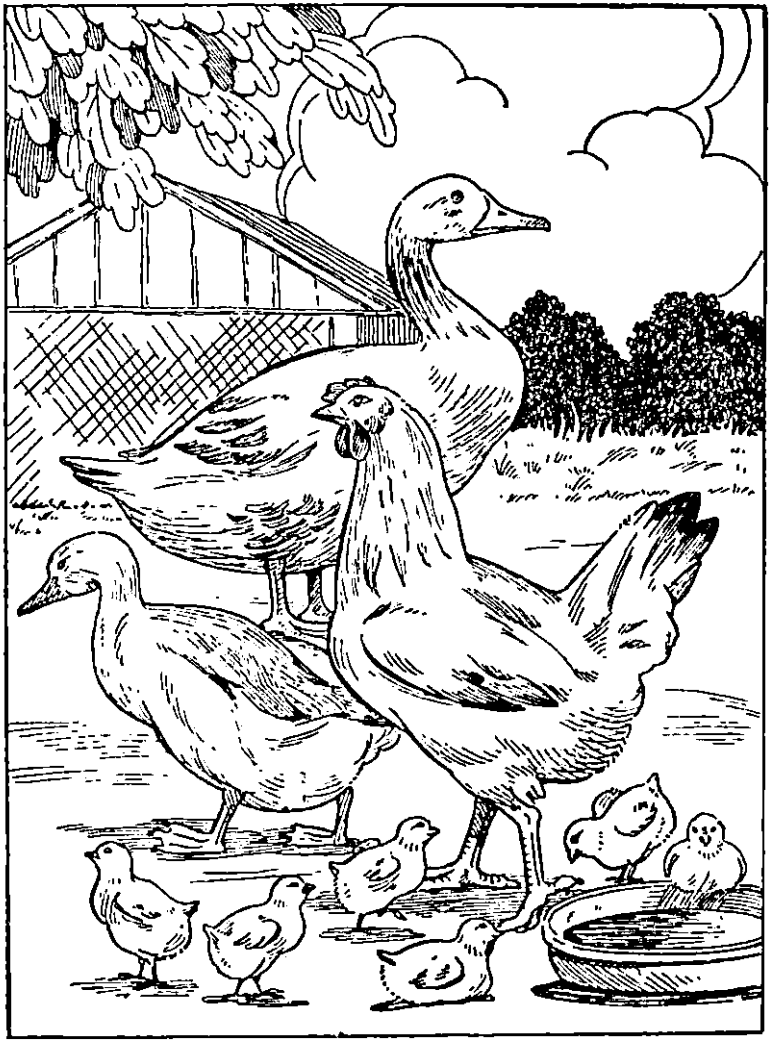

الدجاجة النشيطة ، ومعها صديقتاها الإوزة والبطة

الْفُرْن ، وَخَبَزَتِ الخبزَ ، وَوَضَعَتْهُ فى مَوْضِعِهِ .

ثُمَّ سَأَلَتْ : « مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ هذا الخبزِ ؟ »

فأَجابتِ الإِوَزَّةُ : « أَنا » .

وَقالتِ البَطَّةُ مُسْرِعَةً : « أَنا » .

فَرَدَّتْ عَلَيْهِما الدَّجاجَةُ النَّشِيطَةُ ، وَقالتْ لَهُمَا : « إِنَّكُما لنْ تَأْكلاَ مِنْهُ شيئاً ؛ فَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ ، ومَنْ طحَن خَبَزَ ، وَمَنْ خَبَزَ خُبزًا أَكلَهُ . لَقَدِ امْتَنَعْتُما عنِ الْعَمَلِ وَالمساعَدَةِ ، فَجَزاؤُكما الْحِرْمانُ والجوعُ » .

وَنَادَتْ فِراخَها الصِّغارَ وَأَطْعَمَتْها . ثمَّ أَكَلتْ ؛ مُكافَأَةً لَها على اجتهادِهَا ونَشَاطِها .

القِصَّة الخامسة

الكَلْبُ الذَّكِيُّ

الكلْبُ حَيَوانٌ أَليفٌ ، كثِيرُ الوَفاءِ لِصَاحِبِهِ . يُسْتَخْدَمُ فى الحِرَاسَةِ والصَّيْدِ ، وفى أَعمَالٍ كثِيرَةٍ ، فَيَظْهَرُ مِنْهُ ما يَدُلُّ عَلَى ذَكائِهِ ومَهارَتِهِ .

وَقَدْ حُكِيَ : أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ فى يَوْمٍ مِنَ الْأَيامِ ، وَمَعَهُ كَلْبُهُ ، فَقابَلَهُ عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَائِهِ ، فَقَتَلَهُ وَدَفَنَهُ فى الحَقْلِ تَحتَ شَجَرَةٍ مِنَ الأَشجارِ . وَقدمَضتْ أَيَّامٌ ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَهْلُ الْقَتِيلِ عَنْهُ شَيْئاً . فَصَارَ الْكَلْبُ يَذْهَبُ بَيْنَ وَقتٍ وَآخَرَ إلى المكانِ الَّذِى دُفِنَ فِيهِ صَاحِبُهُ فى الْحَقْلِ ، وَيَنبَحُ نُباحاً شديدًا ، بِصَوتٍ عالٍ ، وَيَنْبُشُ التُّرَابَ بِرِجْلَيْهِ . ويذهبُ إلى الْقَاتِلِ

الكلب الذكى يرى رجال الشرطة المكان الذى دفن فيه صاحبه

الّذِى قَتَلَ صاحِبَهُ ؛ وَيُمْسِكُ بِمَلابِسِهِ .

وَلَمَّا تَكَرَّرَ ذلكَ مِنه عِدَّةَ مَرَّاتٍ قالَ النَّاسُ : « إِنَّ لذلِكَ الكلْبِ سِرًّا هامًّا » . وَذَهبوا إِلى المكانِ الّذِى اعْتادَ أَنْ يَنْبُشَهُ وَكَشَفُوا التُّرَابَ ، فَوَجَدُوا صاحِبَ الكلبِ مَقتولًا ، وَمَدفوناً فى ذلِكَ الْمَكان . وَقَبَضُوا عَلَى الرَّجُلِ الذى كان الكلبُ يَتعلَّقُ بِملابِسِهِ ، وَسَأَلوهُ ، وَشَدَّدُوا عليهِ . فَأَقَرَّ بفَعلتِهِ ، وَعُوقِبَ عَلَى جَرِيمَتِهِ ، الْعِقابَ العادِلَ الَّذِى يَسْتَحِقُّهُ .

القِصَّة السَّادِسة

حاتِمُ الْأَصَمُّ

كان حاتمٌ الأَصمُّ رجلًا صالحاً كثيرَ العِيالِ ، لا يَملِكُ قُوتَ يَوْمِه ، فجلسَ فى ليلةٍ من اللياليِ مع أَصحابِه ، يتحدَّثُ معَهم ، فتَعرضوا لذِكرِ الحجِّ وفوائدِه ، فدخلَ الشوقُ فى قلبِه ، وَذهبَ إلى أَولاده ، فجلَسَ مَعهم يُحدِّثُهم ثم قال لهمْ ، ماذا عليكم لو أَذِنتم لأَبيكم أَن يذهبَ إلى بيتِ ربِّه فى هذا العامِ ليَحُجَّ ويَدعُوَ لكم .

فقالت زوجهُ وأَولادُه : أَنتَ على هذه الحالِ لا تملِكُ شيئاً ، ونحنُ على ما ترَى مِن الفقرِ والحاجةِ ، فكيفَ تريدُ ذٰلك ؟

وكانت له ابنةٌ صغيرة ، فقالت : ماذا علَيكم لوْ أَذِنتمْ له ولا يُهمكم ذلك؟ دَعُوه يذهب إلى الحجِّ ؛ فإنه مرزوقٌ ، واللهُ هو الرزَّاقُ .

فقالوا : صدَقتْ واللهِ هٰذه الصغيرةُ . يا أَبانا ، سافِرْ حيثُ أَحبَبْتَ .

فقامَ مِن ساعتِه ، وأَحْرَمَ[1] بالحجِّ . وخَرجَ مُسافرًا . ولمَّا عَلِمَ الأَصحاب والجيرانُ تأَسَّفوا غايةَ الأَسَف ، وصاروا يَلومون أَبناءَه الذين سمحوا له بالسَّفر ، فجعلَ أَولادُه يلومون تلكَ الصغيرةَ ، ويَقولون لها : لو سَكتِّ ما تكلَّمنا . فرفعَت الصغيرةُ عَينَها إلى السَّماء وقالت : إلٰهى وسيِّدى ومَولاىَ ، عوَّدت القومَ فضلَك وأَنَّك لا تُضيعهُم ، فلا تُخَيِّبْهم ، ولا تُخْجِلْنِى مَعهم .

---

(١) أحرم بالحج : حرم عليه ما كان حلالا له من قبل .

فبينما هُمْ على هذه الحالِ إذ خرجَ أَميرُ البَلدةِ فى صَيدٍ ، فانقطعَ عن عَسكرِهِ وأَصحابِه ، فأَصابه عَطشٌ شديدٌ . فمرَّ ببيتِ الرجلِ الصالحِ حاتم الأَصمِّ ، فطَلب منهم ماءً ليشربَ ، وقرعَ البابَ ، فقالوا : مَن أَنتَ ؟

قال : الأَميرُ ببابِكُم يطلبُ ماءً ليشربَ .

فرفعَتْ زوجةُ حاتمٍ رأْسَها إلى السماءِ وقالتْ : إلٰهى

بنت حاتم الأصم تقدم الماء للأمير

وسيِّدى سُبحانك ! البارحةَ بِتنَا جياعاً ، واليومَ يقفُ الأَميرُ على بابِنا يَسْتَسقِينا ، ويطلبُ مِنا ماءً ليَشربَ ، ثم إنها أَخذَتْ كوزًا جَديدًا ، وملأَتْهُ ماءً ، وقالت لمن يتناولهُ منها : اعذرونا .

فأَخذ الأَميرُ الكوزَ ، وشربَ منه ، فاستطابَ الشربَ من ذلك الماءِ . وقالَ : هَل هٰذه الدارُ لأَميرٍ ؟

فقالوا : لا واللهِ ، بل لعبدٍ من عبادِ اللهِ الصالحين ، يُعرفُ بحاتم الأَصمِّ .

فقال الأَميرُ : لقد سمعتُ به .

فقال الوزيرُ : يا سيِّدى ! لقد سمعتُ أَنه البارحةَ أَحرَمَ بالحجِّ ، وسافرَ ، وَلم يترُك لعيالِه شيئًا ، وأُخبِرْتُ أَنهم البارحة باتُوا جِياعاً .

فقال الأَميرُ : ونحنُ أَيضاً قد ثقُلنا عَليهم اليوم ،

وليس من المروءَةِ أَن يُثَقِّلَ مِثلُنا على مثلِهم . ثمَّ حَلَّ الأَميرُ مِنْطَقته مِن وَسَطه ، ورمَى بها فى الدَّارِ ، ثمّ قال لأَصْحابهِ : من أَحبَّنى فليُلقِ مِنطقتَه ، فحلَّ جميعُ أَصحابه مَناطِقَهم ، ورمَوْا بها إليهم ، ثمَّ انصرفوا .

فقالَ الوزيرُ : السلامُ عليكم أَهلَ البيت ،لآتِيَنَّكم الساعةَ بثَمنِ هٰذه المناطقِ . فلما نزل الأَميرُ رجَع إليهم الوزيرُ ، ودَفعَ ثمنَ المناطقِ مالًا كَثيرًا ، واستردّها منهم ، فلما رأَتِ الصبيَّةُ الصغيرةُ ذلك بكَتْ بُكاءً شديدًا .

فقالوا لها : ما هذا البكاءُ ؟ إن من الواجبِ أَن تَفرحى ؛ فَإن اللهَ قد وسَّعَ علينا .

فقالت : يا أُمِّى ، والله إنما بُكائِى لِأَنّى أَسأَلُ : كَيف بِتنا البارحَة جِياعاً ؟ فنَظرَ إلينا مخلوقٌ نظرةً

واحدةً ، فأَغنانَا بَعدَ فَقْرِنا ، فالكريمُ الخالقُ إذا نظرَ إلينا لا يَترُكُنا إلى أَحدٍ طَرْفةَ عينٍ . اللَّهمَّ آنُظر إلى أَبينا ، ودَبِّر أَمرَه أَحسنَ التَّدْبير .

هٰذا ما كانَ من أَمرِهم . وأَما مَا كانَ مِن أَمْرِ حاتمٍ الأَصَمِّ أَبيهم فإنه لمَّا خَرجَ مُحْرِماً بالحجِّ ، ولَحِقَ بالقومِ ، مرضَ أَمير الرَّكْب ، فطلَبوا له طبيباً ، فلم يَجدوا ، فقال الأَميرُ : هل من عبدٍ صالحٍ ؟

فدُلَّ على حاتم الأَصمِّ ، فلمَّا دَخلَ عليه وكلَّمه دَعا له ، فَعُوفَ الأَميرُ فى الحال ، فأَمرَ له بما يركبُه ، وما يأْكله وما يشربُه . فنامَ تلك الليلةَ مُفكِّرًا فى أَمرِ عيالِه ، فقيلَ له فى مَنامِه : « يا حاتمُ ، من أَصلَحَ مُعاملتَه مَعنا أَصلحْنا مُعاملتَنا مَعه » . ثم أُخبِرَ بما كانَ مِن أَمرِ عياله ، فأَكثَر من شُكرِ الله تعالَى ،

فلمَّا قَضَى حَجَّهُ ورجَع لَقِيَهُ أَولادُه ، فَعانقَ الصبيَّةَ الصغيرةَ وبكَى ، ثم قال : صغارُ قومٍ كبارُ قومٍ آخَرين . إن الله لا ينظُرُ إلى أَكْبرِكم ، ولكنْ ينظرُ إلى أَكْثرِكم صِلَةً ومَعرِفَةً به . فعليكم بمعرفتِه ، والاتكالِ عليه ، فإنَّ مَن توكَّلَ على اللهِ كَفَاهُ .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
القصة الأولى : البنت الوحيدة	٥
القصة الثانية : نيِّرة والعصفور	٢٢
القصة الثالثة : الشجاعة والنبل	٢٦
القصة الرابعة : الدجاجة النشيطة	٣٣
القصة الخامسة : الكلب الذكى	٣٧
القصة السادسة : حاتم الأصم	٤٠

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٨٦٠
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٥٠٦ – ٥

١/٧٨/٢٦٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)